السيد نعمة الله الجزائري

النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

النور المبين
في
قصص الأنبياء
والمرسلين

لمؤلفه
العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء
السيد نعمة الله الجزائري
طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

قدم له وعلّق عليه
علاء الدّين الأعلمي

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطَبعَة الثانيَة

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور- ص ب : ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦- فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧

Published by Alaalami Library
Beirut- Lebanon po. Box 7120
Tel – Fax: 450427
E-mail: alaalami@yahoo.com.

عبدالله عليه السلام فقال: اللهم أسألك رزقاً طيباً قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام هيهات هيهات هذا قوت الأنبياء ولكن سل ربك رزقاً لا يعذبك عليه يوم القيامة هيهات إن الله يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾(١) والطيبات الرزق الحلال.

وفي (الكافي) بإسناده إلى معمر بن خلاد قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى رجل وهو يقول: اللهم إني أسألك عن رزقك الحلال، فقال أبو جعفر عليه السلام: سألت قوت النبيين، قل: اللهم إني أسألك رزقاً واسعاً طيباً من رزقك.

أقول: المراد من الرزق الحلال في الحديثين ما يكون حلالاً في الواقع ونفس الأمر وهو رزق الأنبياء وأوصيائهم، وأما رزق المؤمنين فهو الحلال في ظاهر الشريعة وربما كان فيه شبهات. وفي (الكافي) عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى **﴿وكان رسولاً نبياً﴾** ما الرسول، وما النبي؟ قال النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يرى في المنام ويسمع الصوت ويعاين الملك. قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك، ثم تلا هذه الآية **﴿وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث﴾**(٢).

وعن الرضا عليه السلام: الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلماته وينزل عليه الوحي، وربما يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربما يسمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص(٣).

(وفي الصحيح) عن الأحول قال: سمعت زرارة يسأل أبا جعفر عليه السلام قال: أخبرني عن الرسول والنبي والمحدث فقال: الرسول الذي يأتيه جبرائيل قبلًا فيراه ويكلمه، وأما النبي فهو يرى في منامه على نحو ما رأى إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرائيل من عند الله بالرسالة وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرائيل عليه السلام ويكلمه بها قبلًا، ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه يأتيه الروح فيكلمه ويحدثه من غير أن يكون رآه في اليقظة، وأما المحدث فهو الذي يحدّث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه(٤).

أقول: اختلف علماء الإسلام في الفرق بين النبي والرسول، فقيل: بالترادف، وقيل: بالفرق بأن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزّل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما يدعو إلى كتاب من قبله.

(١) سورة المؤمنون؛ الآية: ٥١.
(٢) أصول الكافي ج ١، ص ١٧٦.
(٣) أصول الكافي ج ١، ص ١٧٦ باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث.
(٤) بصائر الدرجات ص ٣٨٨.

ومنهم من قال: إن من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرسول ومن لم يكن مستجمعاً لهذه الخصلة فهو النبي غير الرسول، ومنهم من قال: إن من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول ومن لم يكن كذلك بل يرى في النوم فهو النبي، ذكر هذه الوجوه الفخر الرازي وغيره والظاهر من أحاديثنا صحة القول الأخير لما مرَّ من عدد المرسلين وكون من نسخ شرع من قبله ليس إلا خمسة.

(وفي كتاب البصائر) عن الباقرين عليهما السلام والمرسلون على أربع طبقات فنبي تنبأ في نفسه لا يعد وغيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاين في اليقظة ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل إلى طائفة قلوا أو كثروا كما قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1]، وقال يزيدون ثلاثين ألفاً، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّٰلِمِينَ﴾[2]، أي من عبد صنماً أو وثناً[3].

أقول: يعني بالإمامة الرياسة العامة لجميع المخلوقات فهي أفضل من النبوة وأشرف منها.

عن عمر بن أبان عن بعضهم قال: كان خمسة من الأنبياء سريانيون آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وإبراهيم، وكان لسان آدم العربية وهو لسان أهل الجنة فلما عصى ربه أبدله بالجنة ونعيمها الأرض والحرث وبلسان العربية السريانية، قال وكان خمسة عبرانيون إسحاق، ويعقوب، وموسى، وداود، وعيسى، وخمسة من العرب هود وصالح وشعيب، وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وآله وملك الدنيا مؤمنان وكافران فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان عليه السلام وأما الكافران فنمرود بن كوش بن كنعان وبخت نصر[4].

أقول: نصر بوزن بقم اسم صنم وبخت يعني أولد لأنه وجد مطروحاً عنده فكأنه ابنه، وروى الصدوق طاب ثراه في إكمال الدين حديثاً طويلاً يسنده إلى الباقر عليه السلام وفيه أن آدم عليه السلام لما استكملت أيام نبوته أوحى الله سبحانه إليه أن يجعل العلم وميراث النبوة في ابنه هبة الله وبشر آدم بنوح وكان بينهما عشرة آباء كلهم أنبياء فلما مضت أيام نبوة نوح عليه السلام دفع ميراث العلم والنبوة إلى ابنه سام وليس بعد سام إلا هود فكان بين نوح وهود من الأنبياء مستخفين وغير مستخفين ومن بعد هود انتهت النبوة إلى إبراهيم وكان بين هود وإبراهيم من الأنبياء عشرة وذكر كلاماً طويلاً ثم قال فأرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وهامان وقارون وكان يقتل في اليوم نبيين وثلاثة وأربعة حتى أنه كان يقتل في اليوم الواحد سبعون نبياً ويقوم سوق بقلهم آخر النهار. ثم ذكر أن موسى عليه السلام أرسل إلى أهل مصر خاصة، وأن عيسى أرسل

(١) سورة الصافات؛ الآية: ١٤٧.
(٢) سورة البقرة؛ الآية: ١٢٤.
(٣) بصائر الدرجات ص ٣٩٣-٣٩٤.
(٤) الاختصاص للمفيد ص ٢٦٤.

إلى بني إسرائيل خاصة، وأرسل الله محمداً ﷺ إلى الإنس والجن عامة. وهذا الحديث يعارض ما تقدم من عموم رسالة موسى وعيسى عليهما السلام ويجري فيه من التأويل أنه من قبيل ما يقال إن رسول الله ﷺ أرسل إلى العرب أو يقال إنه أرسل إلى مكة. لضرب من المجاز والعلاقة ظاهرة(١).

(وفي الكافي) يسنده إلى البرقي يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال إن الله جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً وأعطى نوحاً منها خمسة وعشرين حرفاً وأعطى إبراهيم منها ثمانية أحرف وأعطى منها موسى أربعة أحرف وأعطى منها عيسى حرفين وكان يحيي بها الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص وأعطى محمداً ﷺ اثنين وسبعين حرفاً واحتجب حرفاً لئلا يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد.

(وعنه) عليه السلام: كان مع عيسى ابن مريم حرفان يعمل بهما وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف وكان مع إبراهيم عليه السلام ستة أحرف وكان مع آدم عليه السلام خمسة وعشرون حرفاً وكان مع نوح عليه السلام ثمانية، وجمع ذلك كله لرسول الله ﷺ إن اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً وحجب عنه واحد(٢).

أقول: إن الله سبحانه حجب الاسم الأعظم عن عباده غير الأنبياء وأوصيائهم. (قال المحققون): لعل الوجه فيه أنه لو عرفهم إياه لأقبلوا على الدعاء به وأعرضوا عما سواه من الأسماء الحسنى على أن أكثرهم لا تحتمله عقولهم ولو عرفوه لأفسدوا على أنفسهم ضياع دينهم وعلى غيرهم ضياع دنياهم كما وقع لبلعم بن باعورا حتى سلخه الله تعالى علمه، وكذلك حجبت ليلة القدر في ثلاث ليال ليحافظ على العبادة فيها كلها، وكذلك حجب ولي الله في جملة الناس لأنه لو عرف بعينه لربما أقبل الناس على توقيره واحترامه وحده وولعوا بالإضرار بغيره وربما أوقع الضرر به فيعظم الذنب ومع أنه سبحانه حجبه عن الخلق وورد في الأخبار تارة أنه أقرب إلى بسم الله الرحمن الرحيم من سواد العين إلى بياضها. (وقيل): إنه في سورة التوحيد (وقيل) إنه لفظة لا غير. وفي الأخبار غير هذا أيضاً. وأما آدم عليه السلام فقد أُعطيَ من الاسم الأعظم أزيد من إبراهيم عليه السلام وكذلك أعطي نوح عليه السلام فلا يلزم منه فضلهما وشرفهما على إبراهيم عليه السلام لأن الأفضلية لا يلزم أن تكون بكل فرد فرد وشخص شخص من أنواع التكامل في التفاضل بين أولي العزم الأربعة والذي يظهر من إشارات الأخبار أنه الخليل عليه السلام لأمور سيأتي التنبيه عليها إن شاء الله تعالى في مواضعها.

(وفي بعض) أنه كان مع إبراهيم عليه السلام من الاسم الأعظم ستة أحرف ومع نوح عليه السلام ثمانية ومفهوم العدل ليس بحجة كما تقرر في الأصول. وروى الثقة عن علي بن إبراهيم عن ياسر عن أبي الحسن عليه السلام قال ما بعث الله نبياً إلا صاحب مرة سوداء صافية.

---

(١) والحديث بأكمله موجود في البحار ج ١١، ص ٤٣-٥٢ نقلاً عن كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق.

(٢) بحار الأنوار ج ١١، ص ٦٨-٦٩.

أقول: صاحب هذه المرة تقرر في علم الطب أنه في غاية الحذق والفطانة والحفظ لكن لما كان يجامعها الخيالات الفاسدة والجبن والغضب وصفها بأنها هنا صافية أي خالية من هذه الأخلاق الردية.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: إن الله عز وجل أحب لأنبيائه من الأعمال الحرث والرعي لأن لا يكرهوا شيئاً من قطر السماء، وقال عليه السلام ما بعث الله نبياً قط حتى يسترعيه الغنم يعلمه بذلك رعية الناس[(١)].

(إكمال الدين) بإسناده إلى الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: عاش آدم أبو البشر تسعمائة وثلاثين سنة، وعاش نوح ألفي وأربعمائة، وعاش إبراهيم عليه السلام مائة سنة وخمساً وسبعين، وعاش إسماعيل بن إبراهيم مائة وعشرين سنة، وعاش إسحاق مائة وثمانين سنة، وعاش يعقوب عليه السلام مائة وعشرين سنة، وعاش يوسف عليه السلام مائة وعشرين سنة، وعاش موسى عليه السلام مائة وستاً وعشرين سنة، وعاش هارون عليه السلام مائة وثلاثاً وثلاثين سنة، وعاش داود عليه السلام مائة سنة منها أربعون سنة ملكه، وعاش سليمان بن داود عليه السلام سبعمائة سنة واثنتي عشرة سنة. (وعنه) عليه السلام: قال إن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالجوع حتى يموت جوعاً وإن كان من الأنبياء ليبتلى بالعطش حتى يموت عطشاً وإن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالسقم والأمراض حتى يتلفه وإن كان النبي ليأتي قومه فيقوم فيهم يأمرهم بطاعة الله ويدعوهم إلى توحيد الله وما معه مبيت ليلة فما يتركونه يفرغ من كلامه ولا يستمعون إليه حتى يقتلوه وإنما يبتلي الله تبارك وتعالى عباده على قدر منازلهم عنده[(٢)].

وعن أبي الحسن عليه السلام: من أخلاق الأنبياء التنظيف والتطيب وحلق الشعر وكثرة الطروقة. (وعن أمير المؤمنين) عليه السلام: العشاء بعد العتمة عشاء النبيين[(٣)].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام: ما من نبي إلا وقد دعا لأكل الشعير وبارك عليه. وما دخل جوفاً إلا أخرج كل داء فيه وهو قوت الأنبياء وطعام الأبرار أبى الله تعالى أن يجعل قوت أنبيائه إلا شعيراً[(٤)]. (وعن الصادق) عليه السلام: السويق طعام المرسلين واللحم باللبن مرق الأنبياء[(٥)] وكان أحب الأصباغ[(٦)] إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الخل والزيت وهو طعام الأنبياء وما افتقر أهل بيت يأتدمون بالخل والزيت.

---

(١) علل الشرائع ج ١، ص ٤٦ باب ٢٩.
(٢) إكمال الدين ص ٢٨٩.
(٣) فروع الكافي ج ٦، ص ٢٨٨ كتاب الأطعمة باب فضل العشاء.
(٤) فروع الكافي ج ٦، ص ٣٠٤ باب خبز الشعير.
(٥) فروع الكافي ج ٦، ص ٣٠٦ و ٣٢٨ كتاب الأطعمة.
(٦) الصبغ بالكسر ما يصطبغ به من الإدام كالخلّ والزيت لأن الخبز يغمس فيه ويقال له: المرق.

خاتمة

في بيان عصمة الأنبياء وتأويل ما يوهم خلافه

قال الصدوق قدّس الله ضريحه: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة صلوات الله عليهم أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم. واعتقادنا فيهم أنهم موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم إلى أواخرها لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا جهل(١).

(وروى) قدّس الله رمسه في كتاب الأمالي(٢)، بإسناده إلى أبي الصلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات واليهود والنصارى والمجوس والصابئة وسائر أهل المقالات فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كأنه ألقم حجراً فقام إليه علي بن الجهم فقال: يا بن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء قال بلى قال فما تقول في قول الله عز وجل ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾(٣)، وقوله عز وجل ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾(٤)، وقوله في يوسف ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾(٥)، وقوله في داود ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾(٦)، وقوله في نبيه محمد ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾(٧). فقال مولانا الرضا عليه السلام ويحك يا علي اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تؤوّل كتاب الله برأيك فإن الله عز وجل يقول ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾(٨)، وأما قوله عز وجل ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده ولم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله عز وجل فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٩) وأما قوله عز وجل

---

(١) اعتقادات الصدوق، ص ٩٩.
(٢) أمالي الصدوق ص ٨٢.
(٣) سورة طه؛ الآية: ١٢١.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٥) سورة يوسف؛ الآية: ٢٤.
(٦) سورة ص، الآية ٢٤.
(٧) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٧.
(٨) سورة آل عمران؛ الآية: ٧.
(٩) سورة آل عمران؛ الآية: ٣٣.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ إنما ظن أن الله عز وجل لا يضيق عليه، ألا تسمع قول الله عز وجل ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾(١) أي ضيق عليه ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر، وأما قوله عز وجل في يوسف ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإنها همت بالمعصية وهمَّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما داخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ يعني الزنا، وأما داود فما يقولون من قبلكم فيه؟ فقال علي بن الجهم: يقولون إن داود كان في محرابه يصلي إذ تصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور فقطع صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار فخرج في أثره فطار إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أُوريا بن حنان فاطلع دواد في أثر الطير فإذا بامرأة أُوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها وكان أُوريا قد أخرجه في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن أقدم أُوريا أمام الحرب فقدم فظفر أُوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود فكتب الثانية أن قدمه أمام التابوت فقتل أُوريا رحمه الله وتزوج داود بامرأته، قال فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ولقد نسبتم نبياً من الأنبياء إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل. فقال: يابن رسول الله فما كانت خطيئته فقال: ويحك إن داود إنما ظن أن الله لم يخلق خلقاً هو أعلم منه فبعث الله إليه الملكين فتسورا المحراب فقالا: خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال: أكفلنيها وعزني في الخطاب، فعجل داود على المدعى عليه فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول ما تقول، فكان هذا خطيئة حكمه لا ما ذهبتم إليه ألا تسمع قول الله عز وجل ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ الآية(٢). فقلت يابن رسول الله فما قصته مع أُوريا؟ فقال الرضا عليه السلام إن المرأة في أيام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً وأول من أباح الله عز وجل له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها كان داود فذلك الذي شق على الناس من قبل أُوريا وأما محمد وقول الله عز وجل ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾(٣) فإن الله عز وجل عرف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين وأحد من سمى له زينب بنت جحش وهي يومئذٍ تحت زيد بن حارثة فأخفى صلى الله عليه وآله اسمها في نفسه ولم يبدِهِ لكيلا يقول أحد من المنافقين أنه قال في امرأة في بيت رجل أنها أحد أزواجه من أمهات المؤمنين وخشي قول المنافقين فقال الله عز وجل ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ في نفسك وأن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حوا من آدم عليه السلام وزينب من

---

(١) سورة الفجر؛ الآية: ١٦.
(٢) سورة ص؛ الآية: ٢٦.
(٣) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٧.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ إنما ظن أن الله عز وجل لا يضيق عليه، ألا تسمع قول الله عز وجل ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾(١) أي ضيق عليه ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر، وأما قوله عز وجل في يوسف ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإنها همت بالمعصية وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما داخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ يعني الزنا، وأما داود فما يقولون من قبلكم فيه؟ فقال علي بن الجهم: يقولون إن داود كان في محرابه يصلي إذ تصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور فقطع صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار فخرج في أثره فطار إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أُوريا بن حنان فاطلع دواد في أثر الطير فإذا بامرأة أُوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها وكان أُوريا قد أخرجه في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن أقدم أُوريا أمام الحرب فقدم فظفر أُوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود فكتب الثانية أن قدمه أمام التابوت فقتل أُوريا رحمه الله وتزوج داود بامرأته، قال فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ولقد نسبتم نبياً من الأنبياء إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل. فقال: يابن رسول الله فما كانت خطيئته فقال: ويحك إن داود إنما ظن أن الله لم يخلق خلقاً هو أعلم منه فبعث الله إليه الملكين فتسورا المحراب فقالا: خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال: أكفلنيها وعزني في الخطاب، فعجل داود على المدعى عليه فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول ما تقول، فكان هذا خطيئة حكمه لا ما ذهبتم إليه ألا تسمع قول الله عز وجل ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ الآية(٢). فقلت يابن رسول الله فما قصته مع أُوريا؟ فقال الرضا عليه السلام إن المرأة في أيام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً وأول من أباح الله عز وجل له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها كان داود فذلك الذي شق على الناس من قبل أُوريا وأما محمد وقول الله عز وجل ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾(٣) فإن الله عز وجل عرف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين وأحد من سمى له زينب بنت جحش وهي يومئذٍ تحت زيد بن حارثة فأخفى صلى الله عليه وآله اسمها في نفسه ولم يبدِه لكيلا يقول أحد من المنافقين أنه قال في امرأة في بيت رجل أنها أحد أزواجه من أمهات المؤمنين وخشي قول المنافقين فقال الله عز وجل ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ في نفسك وأن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حوا من آدم عليه السلام وزينب من

(١) سورة الفجر؛ الآية: ١٦.
(٢) سورة ص؛ الآية: ٢٦.
(٣) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٧.

(قال الصدوق) هذا الحديث عجيب من طريق علي بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام[١].

أقول: هذا ليس بعجيب لأن الله سبحانه يجري الحق لأوليائه على ألسنة أعدائه في كثير من الأحوال وفي أغلب الأزمان.

(وفي كتاب الخصال) مسنداً إلى الأشعري رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال ثلاث لم يعر منها نبي فمن دونه الطيرة والحسد والتفكر في الوسوسة في الخلق. (قال الصدوق) معنى الطيرة في هذا الموضع هو أن يتطير منهم قومهم فأما هم عليهم السلام فلا يتطيرون وذلك كما قال الله عز وجل في قوم صالح ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾[٢] وكما قال آخرون في أنبيائهم ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾[٣] الآية. وأما الحسد في هذا الموضع هو أن يحسدوا لا أنهم يحسدون غيرهم وذلك كما قال الله عز وجل ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[٤] وأما التفكر في الخلق فهو بلواهم عليهم السلام بأهل الوسوسة لا غير ذلك كما حكى الله عنهم من الوليد بن المغيرة المخزومي أنه فكر وقدر فقتل كيف قدر يعني قال للقرآن إن هذا إلا قول البشر[٥].

أقول: ما ذكره من التأويل حسن إلا أن في الكافي وغيره تتمة للحديث لا يحتمله وهي لكن المؤمن لا يظهر الحسد، ومن ثم حمل جماعة من أهل الحديث على ما هو أعم من الغبطة أو أن القليل منه إذا لم يظهر ليس بذنب، والطيرة هي التشاؤم بالشيء وانفعال النفس بما يراه أو يسمعه مما يتشاءم به ولا دليل على أنه لا يجوز ذلك على الأنبياء إذ ورد أنهم يتفاءلون بالشيء الحسن، والمراد بالتفكر في الوسوسة في الخلق التفكر فيما يحصل في نفس الإنسان من الوسواس في خالق الأشياء وكيفية خلقها وخلق أعمال العباد والتفكر في الحكمة في خلق بعض الشرور في العالم من غير استقرار في النفس وحصول شك بسببها، ويحتمل أن يكون المراد بالخلق المخلوقات وبالتفكر في وساوس الخلق التفكر وحديث النفس بعيوبهم وتفتيش أحوالهم، وفي الأخبار ما يؤيد الوجهين كما سيأتي وبعض أفراد هذا الأخير على الوجهين لا يستبعد عروضها لهم عليهم السلام.

هذا واعلم أن الخلاف بين علماء الإسلام في عصمة الأنبياء عليهم السلام إلى أربعة أقسام ما يقع في باب العقائد وما يقع في التبليغ وما يقع في الأحكام والفتيا وما يقع في أفعالهم وسيرهم عليهم السلام.

(أما الاعتقادات) فهم منزهون عن الكفر والضلال فيها قبل النبوة وبعدها باتفاق الأمة غير

---

(١) عيون الأخبار للصدوق ج ١، ص ١٧٤.
(٢) سورة النمل، الآية: ٤٧.
(٣) سورة يس، الآية: ١٨.
(٤) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(٥) الخصال ص ٨٩-٩٠.

الأزارقة[1] من الخوارج حيث جوزوا عليهم الذنب وعندهم كل ذنب كفر فيلزمه تجويز الكفر عليهم بل يحكي عنهم أنهم قالوا يجوز أن يبعث الله نبياً علم أنه يكفر بعد نبوته.

وأما النوع الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اتفقت الأمة وأرباب الملل والشرائع على وجوب عصمتهم عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ عمداً وسهواً إلا القاضي أبو بكر[2] فإنه جوّز ما كان من ذلك على سبيل النسيان وفلتات اللسان.

وأما النوع الثالث وهو ما يتعلق بالفتيا فأجمعوا على أنه لا يجوز خطأهم فيه عمداً وسهواً إلا شرذمة قليلة من العامة.

وأما النوع الرابع وهو الذي يتعلق بأفعالهم فقد اختلفوا فيه على خمسة أقوال:

(أولها) قول أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم وهو نفي الذنب عنهم مطلقاً الصغار والكبار والعمد والنسيان والسهو والإسهاء ولم يخالف فيه إلا الصدوق[3] وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد فإنهما جوّزا عليهم الإسهاء من الله لا السهو من الشيطان وكذا القول في الأئمة الطاهرين عليهم السلام (الثاني): مذهب أكثر المعتزلة وهو أنه لا يجوز عليهم الكبائر ويجوّز عليهم الصغائر إلا الصغائر الخسيسة المنفردة كسرقة حبة أو لقمة وكل ما ينسب فاعله إلى الدناءة والضعة (الثالث): وهو مذهب أبي علي الجبائي[4] أنه لا يجوّز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة على جهة العمد لكن يجوز على جهة التأويل والسهو كما تقدم في حكاية آدم عليه السلام من أنه كان غلطاً في التأويل لأنه ظن أنه نهي عن شخص الشجرة لا عن نوعها فتناول من غير التي نهي عن شخصها. (الرابع): أنه لا يقع منهم الذنب إلا عن طريق السهو والخطأ لكنهم مؤاخذون به وإن رفع حكمه عن الأُمة لقوة معرفتهم وعلو مرتبتهم وقدرتهم على التحفظ وهو قول النظام ومن تبعه. (الخامس): أنه يجوز عليهم الصغائر والكبائر عمداً وسهواً وخطأً وهو قول الحشوية وكثير من أصحاب الحديث من العامة ثم إنهم اختلفوا في وقت العصمة على ثلاثة أقوال:

---

(١) فرقة من الخوارج سميت باسم زعيمهم نافع بن الأزرق (انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٣٢).

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري المتكلم انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ.

(٣) قال شيخ المحدثين الصدوق قدس الله روحه في كتابه من لا يحضره الفقيه ج ١، ص ٢٥٠: وليس سهو النبي صلى الله عليه وآله كسهونا لأن سهوه من الله عز وجل وإنما أسهاه ليعلم أنه بشر مخلوق فلا يُتخذ رباً معبوداً دونه، وليعلم الناس بسهوه حكم السهو متى سهوا، وسهونا من الشيطان وليس للشيطان على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة صلوات الله عليهم سلطانٌ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وعلى من تبعه من الغاوين.

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي من أئمة المعتزلة وإليه نسبة الطائفة الجبائية (الأعلام للزركلي ج ٦، ص ٢٥٦).

الأزارقة[1] من الخوارج حيث جوزوا عليهم الذنب وعندهم كل ذنب كفر فيلزمه تجويز الكفر عليهم بل يحكي عنهم أنهم قالوا يجوز أن يبعث الله نبياً علم أنه يكفر بعد نبوته.

وأما النوع الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اتفقت الأُمة وأرباب الملل والشرائع على وجوب عصمتهم عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ عمداً وسهواً إلا القاضي أبو بكر[2] فإنه جوّز ما كان من ذلك على سبيل النسيان وفلتات اللسان.

وأما النوع الثالث وهو ما يتعلق بالفتيا فأجمعوا على أنه لا يجوز خطأهم فيه عمداً وسهواً إلا شرذمة قليلة من العامة.

وأما النوع الرابع وهو الذي يتعلق بأفعالهم فقد اختلفوا فيه على خمسة أقوال:

(أولها) قول أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم وهو نفي الذنب عنهم مطلقاً الصغار والكبار والعمد والنسيان والسهو والإسهاء ولم يخالف فيه إلا الصدوق[3] وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد فإنهما جوّزا عليهم الإسهاء من الله لا السهو من الشيطان وكذا القول في الأئمة الطاهرين عليهم السلام (الثاني): مذهب أكثر المعتزلة وهو أنه لا يجوز عليهم الكبائر ويجوّز عليهم الصغائر إلا الصغائر الخسيسة المنفردة كسرقة حبة أو لقمة وكل ما ينسب فاعله إلى الدناءة والضعة (الثالث): وهو مذهب أبي علي الجبائي[4] أنه لا يجوّز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة على جهة العمد لكن يجوز على جهة التأويل والسهو كما تقدم في حكاية آدم عليه السلام من أنه كان غلطاً في التأويل لأنه ظن٠أنه نهي عن شخص الشجرة لا عن نوعها فتناول من غير التي نهي عن شخصها. (الرابع): أنه لا يقع منهم الذنب إلا عن طريق السهو والخطأ لكنهم مؤاخذون به وإن رفع حكمه عن الأُمة لقوة معرفتهم وعلو مرتبتهم وقدرتهم على التحفظ وهو قول النظام ومن تبعه. (الخامس): أنه يجوز عليهم الصغائر والكبائر عمداً وسهواً وخطأً وهو قول الحشوية وكثير من أصحاب الحديث من العامة ثم إنهم اختلفوا في وقت العصمة على ثلاثة أقوال:

---

(١) فرقة من الخوارج سميت باسم زعيمهم نافع بن الأزرق (انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٣٢).

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري المتكلم انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ.

(٣) قال شيخ المحدثين الصدوق قدس الله روحه في كتابه من لا يحضره الفقيه ج ١، ص ٢٥٠: وليس سهو النبي صلى الله عليه وآله كسهونا لأن سهوه من الله عز وجل وإنما أسهاه ليعلم أنه بشر مخلوق فلا يُتخذ رباً معبوداً دونه، وليعلم الناس بسهوه حكم السهو متى سهوا، وسهونا من الشيطان وليس للشيطان على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة صلوات الله عليهم سلطانٌ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وعلى من تبعه من الغاوين.

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي من أئمة المعتزلة وإليه نسبة الطائفة الجبائية (الأعلام للزركلي ج ٦، ص ٢٥٦).

الأول: أنه من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله وهو مذهب الإمامية رضوان الله عليهم.

الثاني: أنه من حين بلوغهم ولا يجوز عليهم الكفر والكبيرة قبل النبوة وهو مذهب كثير من المعتزلة.

الثالث: أنه وقت النبوة وأما قبله فيجوز صدور المعصية عنهم وهو قول أكثر الأشاعرة ومنهم الفخر الرازي، وأما دلائلنا على ما صرنا إليه فهي وإن كانت متكثرة إلا أن العمدة فيها أخبارنا المتواترة وإجماعنا المقطوع به حتى أنه صار من ضروريات ديننا. وقد ذكر سيدنا الأجل علم الهدى في الشافي وكتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام جملة من الدلائل والبراهين القاطعة من أراد الإطلاع عليها فليطلبها من هناك.

ومنهم من قال: إن من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرسول ومن لم يكن مستجمعاً لهذه الخصلة فهو النبي غير الرسول، ومنهم من قال: إن من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول ومن لم يكن كذلك بل يرى في النوم فهو النبي، ذكر هذه الوجوه الفخر الرازي وغيره والظاهر من أحاديثنا صحة القول الأخير لما مرّ من عدد المرسلين وكون من نسخ شرع من قبله ليس إلا خمسة.

(وفي كتاب البصائر) عن الباقرين عليه السلام والمرسلون على أربع طبقات فنبي تنبأ في نفسه لا يعد وغيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاين في اليقظة ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل إلى طائفة قلوا أو كثروا كما قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(١)، وقال يزيدون ثلاثين ألفاً، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢)، أي من عبد صنماً أو وثناً(٣).

أقول: يعني بالإمامة الرياسة العامة لجميع المخلوقات فهي أفضل من النبوة وأشرف منها.

عن عمر بن أبان عن بعضهم قال: كان خمسة من الأنبياء سريانيون آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وإبراهيم، وكان لسان آدم العربية وهو لسان أهل الجنة فلما عصى ربه أبدله بالجنة ونعيمها الأرض والحرث وبلسان العربية السريانية، قال وكان خمسة عبرانيون إسحاق، ويعقوب، وموسى، وداود، وعيسى، وخمسة من العرب هود وصالح وشعيب، وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وآله وملك الدنيا مؤمنان وكافران فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان عليه السلام وأما الكافران فنمرود بن كوش بن كنعان وبخت نصر(٤).

أقول: نصر بوزن بقم اسم صنم وبخت يعني أولد لأنه وجد مطروحاً عنده فكأنه ابنه، وروى الصدوق طاب ثراه في إكمال الدين حديثاً طويلاً يسنده إلى الباقر عليه السلام وفيه أن آدم عليه السلام لما استكملت أيام نبوته أوحى الله سبحانه إليه أن يجعل العلم وميراث النبوة في ابنه هبة الله وبشر آدم بنوح وكان بينهما عشرة آباء كلهم أنبياء فلما مضت أيام نبوة نوح عليه السلام دفع ميراث العلم والنبوة إلى ابنه سام وليس بعد سام إلا هود فكان بين نوح وهود من الأنبياء مستخفين وغير مستخفين ومن بعد هود انتهت النبوة إلى إبراهيم وكان بين هود وإبراهيم من الأنبياء عشرة وذكر كلاماً طويلاً ثم قال فأرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وهامان وقارون وكان يقتل في اليوم نبيين وثلاثة وأربعة حتى أنه كان يقتل في اليوم الواحد سبعون نبياً ويقوم سوق بقلهم آخر النهار. ثم ذكر أن موسى عليه السلام أرسل إلى أهل مصر خاصة، وأن عيسى أرسل

(١) سورة الصافات؛ الآية: ١٤٧.
(٢) سورة البقرة؛ الآية: ١٢٤.
(٣) بصائر الدرجات ص ٣٩٣-٣٩٤.
(٤) الاختصاص للمفيد ص ٢٦٤.